منهجية التحقيق عند محمد بن عبد الكريم: "التحفة المرضية في الدولة البكداشية" نموذجا

أ. بوشريط أمحمد*

مقدمة: كان من الطبيعي أن يعنى مؤرخو الجزائر بتراثهم الوطني، وكان من الطبيعي أيضا أن تكون البداية في هذا الصدد، هو تحقيق هذا التراث حتى يتمكن هؤلاء من إزالة الغبار على بعض المخطوطات والتي لازالت قابعة في درج المكتبات ودور الأرشيف، ولتحقيق هذا الغرض، كان لزاما على كل محقق أن يبدل قصارى جهده لإنقاذ هذا التراث الدفين ليرى النور من جديد، فكان هذا العمل من أوجب واجبات كل باحث غيور على هذا الكنز الثمين ليحفظه من عاديات الدهر وأيدي العابثين.

ومن هؤلاء الغيورين على تراثهم الوطني، الباحث المحقق محمد بن عبد الكريم، فما انجازاته في هذا الميدان إلا دليل على حرصه لإنقاذ هذا التراث من الضياع.

مجهوداته في التحقيق: لقد كان لباحثنا هذا، مجهودات في عملية تحقيق تراثنا الوطني، وليسعنا في هذه الورقة إلا ذكر ما جادت به قريحة هذا الباحث في هذا الميدان، والتي أحصيت منها سبعا، وهي على التوالي:

أ– التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية لمؤلفه محمد بن ميمون الجزائري.

ب–رحلة محمد الكبير "باي الغرب الجزائري" إلى الجنوب الصحراوي الجزائري لمؤلفه: أحمد بن هطال التلمساني.

ج– أتحاف المنصفين والأدباء لمؤلفه: حمدان خوجة.

*– أستاذ مساعد "أ" في التاريخ الاسلامي الوسيط–قسم التاريخ – جامعة معسكر.

د– وشاح الكتائب لمؤلفه: قدور بن رويلة. هـ– القول الأوسط فيما حل بالمغرب الأوسط لمؤلفه: أحمد الشقراني. و– رحلة أحمد باي. ي– بهجة الناظر لمؤلفه: عبد القادر المشرفي.

منهجيته في التحقيق: يجب عل كل محقق إذا ما رام الخوض في هذا الميدان أن يتبع عدة خطوات حتى يتمكن من إخراج المخطوط في صورته النهائية، ويقدم للقارئ نصا صحيحا يطابق الأصل، وفي هذا الصدد لا يخامرنا الشك أن محققنا قد اتبع في عمله القيم مثل هذه الخطوات التي استلهمها من المبادئ الأساسية التي يعتمدها علم التحقيق، ولذلك قسم عمله إلى مرحلتين رئيستين وهما: تحقيق النص والتعليق عليه، ثم تليها قسم الدراسة.

المرحلة الأولى: وحتى يأتي النص المحقق على النحو الذي أراده له مؤلفه، أو في صورة تقرب من الأصل، فكان لزاما على المحقق أن يعتمد على عدد من النسخ، فالاعتماد على نسخة واحدة قد تحرم المحقق من عملية المقارنة وتصحيح الأخطاء الواردة فيها، أو إكمال نقص، وبخاصة إذا كانت النسخة مبتورة أو غير واضحة، فهذا في حد ذاته يصعب من مهمة المحقق، وفي حالة تعدد المخطوطات، فمن الضروري أن يقوم المحقق بتصنيفها إلى مجموعات.[1]

ولتكون نتائج هذا التحقيق موثوق بها، فلابد من الاطلاع على الفهارس العامة لدور الكتب التي تتوفر عنها معلومات، فمن هذه الموسوعات، موسوعة كارل بروكلمان والموسومة بـ: "تاريخ الأدب العربي" وعلى غرارها "تاريخ التراث العربي" لفؤاد سزكين.[2]

يبدو أن الحظ حالف محققنا هذا، إذ اعتمد على نسختين، الأولى: مخطوطة توجد بمكتبته الخاصة، وأما الثانية: فتوجد بالمكتبة الوطنية بالجزائر العاصمة تحت رقم 1625.[3]

وبناء على ما تقدم ذكره، فإن المحقق باعتماده على نسختين تسمح له بمقارنتهما والمقارنة بينهما وبخاصة إذا كانت إحداهما هي الأصلية، فهذا قد يجنبه الاعتماد فقط على النسخة المصورة، لأن أكثر النسخ أصالة ودقة هي النسخة التي خطها المؤلف بنفسه.[4]

لقد شملت هذه المرحلة على محطتين، وهما:

التحقيق: إن هدف التحقيق هو اجتهاد المحقق في جعل النصوص مطابقة لحقيقتها في النشر، كما وضعها صاحبها من حيث اللفظ والمعنى، وعليه فالتحقيق قد ينقسم إلى عدة

أنواع، منها: أن يركز المحقق على أصول كاملة، وهي الطريقة الشائعة، وآخر يعتمد على جمع آثار جماعة أو قبيلة أو فن من الفنون.[5]

فمن القواعد التي يستلزم إتباعها من طرف المحقق، هي تقطيع النص وتوزيعه على شكل فقرات، وهو ما يعرف في أدبيات علم التحقيق بتنظيم مادة النص.[6] إذ لم يكن المؤرخون الأوائل ولا النساخ يعنون بهذا التنظيم، كالاهتمام بوضع الفقرات والنقط والفواصل والنقطتين وغيرها. وهذا ما سنحاول التعرف عليه من خلال المنهجية التي اتبعها المحقق في تحقيقه هذا، وان كان قد التزم بهذا المنهج.

ففي ما يتعلق بتقطيع النص وتوزيع فقراته، وهو ما يعرف في علم التحقيق بتنظيم نصوص المخطوط، فما من شك أن المحقق قد اتبع هذا المنهج، وهذا ما سنستشفه من خلال هذه النماذج.

ص أ-11 من المخطوط وما يقابلها من المطبوع ص123. قسمها إلى فقرة واحدة.

ص أ-31 من المخطوط وما يقابلها من المطبوع ص138. قسمها إلى فقرتين.

وفي أحايين أخرى نجد عدة صفحات تقريبا تحتوي على فقرة مطولة دون الالتزام بتقطيعها إلى عدة فقرات وهذا ما نلحظه في:

من ص أ-114 و ص أ-118 من المخطوط وما يقابلها في المطبوع صص221- 224 لم يقم بتقسيمها إلى فقرات، بل شملت فقرة مطولة.

ص أ-123 إلى ص أ-126. وما يقابلها من المطبوع صص229- 231. يقسمها إلى ثلاث فقرات.

يبدو أن عدم الالتزام دائما بنظام الفقرات مرده إلى طبيعة موضوع هذا المخطوط، إذ قسمه صاحبه إلى مقامات[7] أضف إلى ذلك أن نصه كثيرا ما تتخلله قصائد شعرية مما يصعب على المحقق الالتزام دائما بنظام الفقرات.

أما فيما يتعلق بالنقطة والفاصلة والنقطتين، فقد التزم المحقق بكل ذلك، فما نكاد نطالع صفحة من صفحاته إلا والتزم بها هذا الأخير.

وفي هذه الخطوة من خطوات التحقيق، فقد التزم التزاما كاملا بقواعد الرسم الإملائي الواردة في المخطوط، إذ حافظ على أصل النص، ولم يغير كلمة من كلماته ندت عن المعنى

المراد، فيقول في هذا الصدد: "ولم نبذل حرفا قد وضعه قلم الناسخ في غير موضعه دون أن ننبه على ذلك في هامش الكتاب".[8]

كما قام المحقق بوضع القوسين المزهرتين ﴿ ﴾ لحصر آي القرآن الكريم[9]، كما التزم بوضع الشولتين « » عند اعتماده على الأحاديث النبوية الشريفة.[10] إلا أنه لم يلتزم بوضع القوسين عند ذكر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وكذا عند استعماله- رضي الله عنهم أو عنه.[11]

لقد كان اعتناء المحقق بوضع الخط المائل (/) في متن الكتاب لتحديد صفحات المخطوط، فتارة يضع الخط المائل في وسط الصفحة ثم يشير إلى صفحة المخطوط على يمين الصفحة المطبوعة، وأخرى على يسار المطبوع ثم يقوم بترقيم المخطوط.

وفي أحايين أخرى يضع الخط المائل والصفحة على يسار النص المطبوع، وتارة أخرى يضع الخط المائل على يسار المطبوع ورقم صفحة المخطوط على يمين النص المطبوع[12]

يبدو أن المحقق كان دقيقا في تحديد صفحات المخطوط، إذ كان شديد العناية في توجيه القارئ من أين تبدأ الصفحة بالتدقيق وأين تنتهي، ولهذا نجده لا يلتزم بوضع صفحات المخطوط إما على يمين النص المطبوع أو على يساره.

أما الخطان العموديان، وهو ما يعرف في بعض المراجع التي عنيت بالمنهجية بالقوسين المركبين [ ] فيوضعان عندما يضطر المحقق إلى وضع كلمة أو عبارة لإكمال نقص وقع – لأسباب أو أخرى – .[13] [14]

لم يكن محققنا هذا ملزما بهذا المنهج، باعتبار أنه صرح في مقدمة الكتاب أنه احتفظ بالنص كما هو، ولم يدخل عليه أي تعديل، وإنما أشار إلى ذلك في الحواشي.

وحتى يخرج هذا المخطوط في صورته النهائية، فعلى المحقق أن يجتهد في وضع عناوين له حتى يمكن – ممن يتعامل مع النص– أن يتعامل معه بكل سهولة إلا أن محقق مخطوط "التحفة" لم يشر إلى أنه وضع عناوين له، لأن المخطوط نفسه يحتوي على مثل هذه العناوين.

إن من عادة النساخ لا يضعون عناوين مستقلة لكتاباتهم، وهذا ما نلحظه في بعض المصادر، فهذا يحي بوعزيز يذكر في مقدمة كتاب "طلوع سعد السعود" "ليس للمخطوط عناوين مستقلة" وإنما "له عناوين على هوامش الصفحات" إلى أن يقول: "وكل عناوين الكتاب من وضعنا نحن."[15]

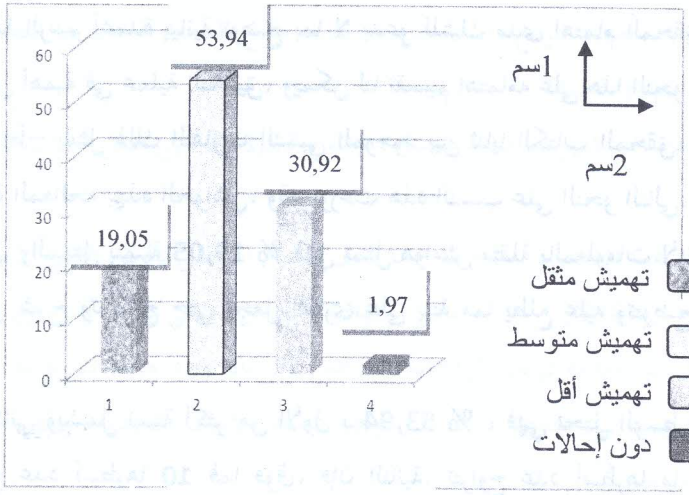
التعليق:

يعتبر التعليق متمما للتحقيق، فهو يأتي في المرتبة الثانية بعد إتمام المحقق من ضبط النص، ولذا فقد اعتبره البعض عملا نقديا يتطلب مهارة، فالحواشي لا غنى عنها، ففيها يقوم المحقق بشرح مفصل لبعض الأعلام الجغرافية والشخصيات الواردة في النص[16] إضافة إلى شرح بعض الألفاظ الغريبة والمصطلحات، وبالاستعانة ببعض المصادر التي تتناول الفترة ذاتها، يمكن للمحقق أن يقارن الأحداث التاريخية بما ورد في المخطوط ومصادر أخرى، كما لا ننسى تخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة[17].

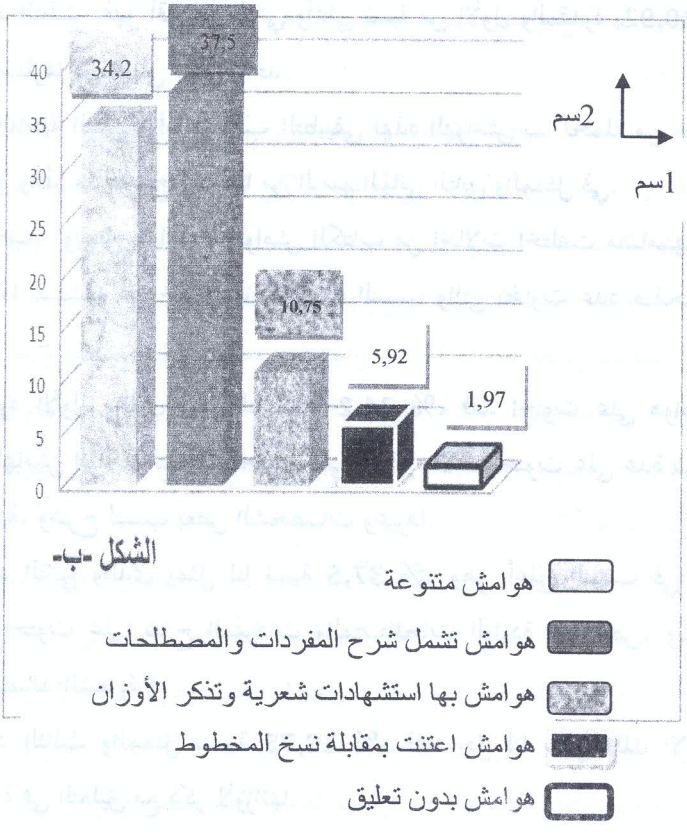
لن يكتمل عمل المحقق، إلا إذا نظر بعين الشك لكل ما ورد من حقائق وردت بالمخطوط، وحتى يكون تحليله لها تحليلا موضوعيا بعيدا عن التحيز لطرف على حساب طرف آخر، وعليه فعند تحديد المحقق للوقائع اعتمادا على المعطيات المصدرية مباشرة يستطيع بواسطتها اتخاذ قراره بشأن قبول معلومات محددة أو رفضها[18]، فتكون بذلك تعليقاته تتسم بالأمانة والدقة.[19]

فلا مناحة من القول أن الهوامش تضفي على عمل المحقق مصداقية أكثر تدل على سعة اطلاعه ومقدرته الفائقة في التعامل مع هذا الكم الهائل من المعلومات من خلال تعامله مع المصادر الأولية والثانوية والاستفادة مما احتوته هذه الأخيرة من إفادات تفيد المحقق في تعليقاته.[20]

وحتى تتضح لنا الصورة أكثر عن المنهج المتبع من طرف المحقق في تعليقاته، سنعتمد على هذا الرسم البياني والذي سيوضح لنا بدقة الطريقة التي اتبعها محقق كتاب "التحفة".



الشكل –أ-



الشكل -ب-

يمثل هذا الرسم أعمدة بيانية توضح بما لا يدعو للشك مدى اهتمام المحقق بالتهميش لما له من أهمية في عملية التحقيق، ويمكن لنا تقسيم اهتمامه على هذا النحو.

فالشكل –أ– يمثل ذلك التفاوت النسبي الموجود بين ثنايا الكتاب المحقق، وذلك نظرا لأهمية المادة المعالجة بهذه الحواشي، وقد توزعت هذه النسب على النحو التالي:

فالعمود الأول والممثل بنسبة 19,05 % فهي تمثل هوامش مثقلة بالمعلومات لأن النص كان في حاجة إلى شرح وتوضيح حتى يجعل القارئ على بينة مما يطلع عليه وتتوضح له الصورة أكثر.

أما العمود الثاني ويشمل نسبة أكثر من الأول بـ 53,94 % ، فهي تحتل الوسط، فإن كانت الأولى تتراوح عدد أسطرها 10 فما فوق، فإن الثانية، تتراوح عدد أسطرها ما بين 9 إلى 5 أسطر.

أما العمود الثالث، فهو أقل من الثاني وأعلى نسبة من الأول والمقدرة بـ30,92 %، والتي قدرت عدد أسطرها من 4 إلى سطر واحد.

هذا من الناحية النظرية، أما الجانب التطبيقي لهذه الهوامش بما تحمله من معلومات عن النص المحقق وهذا ما يتوضح لنا جليا من الرسم البياني الثاني والممثل في:

الشكل –ب– ويمثل ما احتوته هوامش الكتاب من إحالات اختلفت مضامينها من هامش لآخر، وهذا ما نستشفه من خلال تعاطينا لهذه النسب والتي تتفاوت عدد صفحات الكتاب المحقق.

فأما العمود الأول والذي يمثل لنا نسبة 34,2 %، فقد احتوت على هوامش تنوعت مضامينها، فالهامش الواحد منها قد يحتوي على عدة إحالات احتوت على عدة شروح لأعلام وأماكن جغرافية، وشرح لنسب بعض الشخصيات وغيرها.

أما العمود الثاني والذي يمثل لنا نسبة 37,5 %، وهي أعلى النسب في هذا الرسم البياني، فقد احتوت على شرح المفردات والمصطلحات الواردة في النص، وبخاصة تلك الواردة في القصائد الشعرية.

أما العمود الثالث والممثل بنسبة 10,75 %، فقد مثل لنا بعض تلك الاستشهادات الشعرية الواردة في التعليق مع ذكر لأوزانها.

وفيما يتعلق بالعمود الرابع والذي مثل لنا مقابلة نسخ المخطوط ببعضها البعض، مع إيراد الاختلافات الموجودة بينها.

وأما آخرها والتي تمثل لنا نسبة ضعيفة قدرت بـ 1,97 % فهي تمثل لنا صفحات قليلة من دون تعليق.

من حصاد هذا التحليل، يتضح لنا جليا مدى اهتمام المحقق بالركن الثاني ألا وهو التعليق، فيظهر لنا من الوهلة الأولى أنه لم يخل بمنهجية التحقيق، والتي يجب أن يلتزم بها المحقق، وهذا ما يؤكده في مقدمة دراسته لهذا الكتاب حين ذكر بأنه وجه عنايته لشرح بعض المفردات اللغوية والتي يستعصى فهمها إضافة إلى توجيه عنايته بالأبيات الشعرية، وتفهمه لما ورد من الأحاديث وغيرها.[21]

بعد هذا العرض الموجز لما ورد من تعاليق في هذا الكتاب المحقق، يجدر بنا التعرض لنماذج منها لنتبين بشكل أوضح منهجية محققنا في هذا الجانب.

تراجم الأعلام:

ص112 – هامش4 – يترجم فيه المحقق لشخصية "بكداش، فيحيط إحاطة شاملة بها بدءا بسبب تسميته بهذا الاسم ثم التطرق إلى أصلها التركي ثم معناها – الحجر الصلب–[22] ثم رحلته من جزيرة العرب متجها نحو الجزائر، والمنصب الذي تولاه بها إلى غاية وفاته. معتمدا في ذلك بعض المصادر المهمة، وعليه نخرج بالملاحظات التالية:

يذكر اسم المؤلف ويرفقه بعنوان الكتاب والمحقق، ومكان الطبع وسنتها والجزء والصفحة، وعند اعتماده على المخطوط يذكره على هذا النحو: شرح أرجوزة الحلفاوي مع تحديد الصفحة لاعتبار هذا المؤلف مخطوط، وعند اعتماده على بعض المراجع الفرنسية، لا يذكر مكان الطبع ولا السنة.[23]

ص124 –هامش3– وفيه يترجم المحقق لشخصية الداي حسين خوجة، وهي ترجمة لا تتعدى السطرين، إلا أنه لا يحيل إلى مصدر ترجمته، كما هو الحال في الهامش أعلاه.[24] وتتكرر نفس العملية في بعض المواضع، مثل: ص144– ها5–وص172–ها5.

هذه بعض الاستثناءات التي احتوتها بعض هذه الهوامش، إلا أن المحقق يلتزم بالمنهجية التي يتطلبها التحقيق، وهذا ما نلحظه في ترجمته لبعض الشخصيات ففي:

ص163 – هامش 2. حين يترجم لسيدي الهواري، يذكر مصدر الترجمة وهو البستان مع الالتزام التام بالمنهجية التي يتطلبها التهميش.[25]

تراجم الأعلام الجغرافية:

وما ذكر بخصوص الأعلام ينسحب الكلام على الأماكن الجغرافية الواردة في تعاليق المحقق، ولنا في ذلك عدة أمثلة.

ص137– هامش4. ورد فيه مدينة اطرابلس، وقام بذكر ما يراد منها، فقال: ويقال لها طرابلس، وكانت تلك التفاتة طيبة من المحقق، ثم يقوم بتعيين موقعها، وكل ذلك اعتمادا على مصدر جغرافي، وهو مراصد الاطلاع، مع الالتزام بالمنهجية في مثل هذا النوع من التراجم.[26]

وفي مواضع أخرى يتبع نفس المنهجية في شرحه للأماكن والمدن، وهذا ما سنلحظه في هذين المثالين.

ص191– هامش3. وفي هذا المقام يشرح نهر شنيل الذي أسهب في التعليق على موقعه وما يحتويه من رياض وبساتين غناء، فهذه الإحاطة بجوانب متعددة لهذا النهر قد تفيد القارئ إذا ما رام الاستفادة من المعلومات المتوفرة في هذه الحاشية، ثم لا يكتفي بذلك، بل يحيل إلى مصادر ترجمته، منها النفح والإحاطة.[27]

لقد اعتمد المحقق في هذه الترجمة على مصادر أندلسية، وهذا هو المعمول به، لأن خير من يعرف الأندلس هم أصحابها، إلا أنه كان على المحقق عند ترجمته لهذا النهر أن يتعرض للاختلافات الواردة في رسم هذه الكلمة "شنيل" منها: "شلير" ويطلق عليه كذلك جبل الثلج، فنكون بذلك قد أفدنا القارئ بعدة تسميات لهذا العلم.[28]

وهذا الكلام ينسحب على مدينة غرناطة – هامش2 – ص191. الذي فصل في ترجمتها من الناحية الجغرافية، كما أرفق هذا التهميش بإفادة تاريخية تتعلق بسقوطها إلا أنه لا يشير إلى المصادر التي استقى منها هذه المعلومات.[29]

تفسير ما غمض من ألفاظ ومفردات ومصطلحات.

من الضروري على المحقق أن تكون له وقفة عند بعض ما ورد في النص من ألفاظ قد يصعب علينا فهمها، وهذا ما يؤكده المحقق بقوله: "شرحنا لبعض المفردات اللغوية التي يستعصى فهمها."[30]

لقد احتوى المخطوط على بعض الألفاظ والمفردات الصعبة، وبخاصة إذا علمنا بأن الكتاب يحوي في مضانه 795 بيتا شعريا، إضافة إلى وجود كلمات ذات أصول تركية وفارسية، ولذا فمن الضروري الرجوع إلى معاجم الألفاظ التي يستعصى فهمها.[31]

فمن الألفاظ الصعبة التي قام بشرحها المحقق نذكر.

بكداش: ص201. وقد قام بإرجاعها إلى معناها في الأصل الفارسي والتركي، وهي التفاتة طيبة من المحقق، ويشير إلى أن معناها هذا، قد ورد عند ابن ميمون في ص146 من كتابة التحفة.

السندس: ص156. نبه على أن الكلمة فارسية وقام بشرح معناها – الديباج –

شاوش: ص124. قام بشرح معناها، وأن أصلها فارسي تركي.

من خلال هذه الأسماء ذات الأصول التركية والفارسية التي اعتمدها المحقق في هوامشه وأفادنا بمدلولاتها، إلا أنه لم يحل إلى المصادر والمراجع المتخصصة التي تقوم بشرح مثل هذه الأسماء والألقاب، فكان من الممكن الرجوع إلى المصادر والمعاجم المتخصصة[32]، أضف إلى ذلك الرجوع إلى أصل كتابة مثل هذه الأسماء، فمثلا: "شاوش" تكتب "جاويش" ومنها تأتي كلمة "الجاويشية".

أما باقي المفردات العربية، فقد نالت حظها في تعاليق المحقق، سنتعرض لبعض منها، لأننا لو ذكرناها بأكملها لكان لنا في ذلك غنية.

فمن الشروح التي اعتمد فيها على المصادر نذكر.

المقامات: ص111– ها1. قام بشرحها وأفادنا بمعناها، وهنا التزم بالمنهجية التي تقتضيها الهوامش. وذلك باعتماده على الشريشي في شرحه لمقامات الحريري.[33]

المن: ص133– هامش1. قام بشرح معناها ويربطها ببني إسرائيل، وقد اعتمد في شرحها على معجم القرآن لعبد الرءوف المصري.[34]

المهارق[35]: ص154– هامش7. قام كذلك بشرحها، إلا أنه لم يحل إلى مصادر ترجمتها كما عهدناه منه في الأمثلة السالفة الذكر، وهذا الكلام ينسحب على عدد كبير من المفردات والألقاب والمصطلحات التي قام بشرحها دون ذكر للمصدر أو المرجع الذي استعان بها لشرحها.

ضبط الأنساب: قام بضبط بعض الأنساب، نذكر منها:

النكداني: ص144– هامش4. ويرجع نسبتها إلى قرية قديمة بالأناضول.

بنو عامر: ص203– هامش4– قام برفع نسبهم إلى عامر بن صعصعة و أفاض في الشرح مما يدل على اطلاعه الواسع، معتمدا في ذلك على مصدر مهم، وهو بهجة الناظر، إلا أن دراسة النسب قد يحتاج منا الرجوع إلى المصادر المتخصصة كجمهرة أنساب العرب لابن حزم.(36)

تخريج الآيات والأحاديث وضبط القصائد الشعرية:

لقد قام المحقق بتخريج الآيات الواردة في المخطوط، وقام بتشكيلها فمن أمثلة ذلك.

ص139– قوله تعالى:﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾ (سورة آل عمران الآية.160)

ص239– قوله تعالى: ﴿وَما كُنّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا اَنْ هَدانَا الله﴾ (سورة الأعراف، الآية.43).

وفي أحايين أخر يذكر آي القرآن الكريم، ويكتب في الهامش على أنها اقتباس من آي الذكر الحكيم، وهذا ليس بالاقتباس، فالاقتباس أن نأخذ الآية لنوظفه في النص، فمن أمثلة ذلك

صص231– 232. قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾، ثم يشير في الهامش رقم 1 – هذا اقتباس من آي الذكر الحكيم، ثم يقوم بتخريج الآية على النحو المعتاد. سورة الأحزاب الآية 23. وتتكرر هذه الطريقة في ص228– هامش رقم7. في حين كان الاقتباس في ص 199. حين أثنى على بكداش، فقال: "المجاهد في سبيل الله أبي عبد الله مولانا محمد بن علي بن بكداش، فرع الشجرة النبوية السمحاء، التي أصلها ثابت وفرعها في السماء، وهذه الجملة الأخيرة، مقتبسة من آي القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾(37)

أما بالنسبة للأحاديث النبوية الشريفة، فقد التزم بالمنهجية المتبعة في مثل هذه المواضع، اذ قام بتخريجها من الصحاح، كصحيح مسلم، فمن أمثلة ذلك.

ص172. ذكره لحديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) (من فرج على أخيه المؤمن كربة من كرب الدنيا فرج الله عليه كربة من كرب الآخرة) ثم يتبعها بقوله: "الى غير ذلك من الأحاديث النبوية." ثم يقوم في هامش رقم3. بذكر الأحاديث الواردة في نفس المعنى.

أما بخصوص القصائد الشعرية الواردة في النص المحقق، فنجده قد التزم بقواعد التحقيق، ولإثبات ذلك سنعتمد على نماذج مما ورد في تحقيقه هذا.

ص120. أورد لنا قصيدة للشاعر الأندلسي أبي بكر محمد بن أحمد بن دحيم الأندلسي، فمن جملة ما نخرج به.

التزام المحقق بتشكيل الأبيات الشعرية – شرحه لما ورد فيها من مفردات وكلمات صعبة– التزامه بذكر البحر الذي تنتمي إليه هذه القصيدة – وفي الأخير يذكر المصدر الذي وردت فيه هذه القصيدة.

إلا أننا لم نلحظ ثمة مقارنة بين هذه الأبيات الشعرية، ومثيلتها في مصادر أخرى، حتى يمكن للمحقق ذكر تلك الاختلافات الواردة في رسم بعض الكلمات و كذلك الاختلافات الواردة بين كلمة وأخرى، وقد يكون عذر المحقق في أنه لم يعثر على هذه القصيدة في مصادر أخرى تسمح له بمثل هذه المقارنة وحتى عند تعرضه لبعض القصائد في التهميش، نجد المحقق يلتزم بعملية تشكيل الأبيات وذكر البحر مع الالتزام بالإحالة إلى المصدر.[38]

المرحلة الثانية:

بعد أن ينتهي المحقق من تحقيق النص، تبقى أمامه خطوة ثانية والتي تشتمل على عدة خطوات نبدؤها بـ:

المقدمة: وفيها يبرز أهمية المخطوط، وما تناوله من مادة تغطي الفترة التي عالجها صاحبه.

أ–التعريف بالمخطوط: لقد أحاط المحقق إحاطة شاملة بذلك، وهذا ما سنستشفه من خلال تعرضنا لما ورد فيه من عناصر مهمة.

فبالنسبة لموضوع المخطوط، فقد تطرق فيه إلى المحاور الكبرى الذي دار فيه موضوعه، إذ يذكر بأنه تناول فيه سيرة الداي محمد بكداش من حيث سيرته المرضية مع التركيز على سيرته إبان توليته وحكمه، ثم يضيف قائلا: بأن المؤلف قد خصص جل كتابه للفتح الأول لمدينة وهران.[39]

أما هدف هذا التأليف، فيذكر بأنه ألفه، لإعجابه بسير بكداش هذا، و حتى يتقرب إليه وينال رضاه.

وأما منهجه، فقد انتهج فيه، ترتيب الحوادث من حيث الفترة الزمنية، و أخذ بذلك نهج الأدباء من حيث اعتماده على السجع، ولكن المحقق يتدخل في هذه النقطة، فيذكر بأنه أخل بالخيال الذي يعتبر عنصر أساسي من عناصر الأدب ولاسيما في فن المقامات.

وعند تعرضه لأسلوبه، فيذكر بأنه تميز بمثانة اللفظ وقوة التعبير، وكعادة المحقق يتدخل في هذا الجانب ويدلي بدلوه، فيقول: "وقد يشوبه أحيانا بعض الغموض من حيث تركيب الجمل واستخلاص المعنى المراد."[40]

وينوع من التفصيل يذكر ما احتواه المخطوط من مقامات قدرت بـ ستة عشر ابتدأها بالمقامة الأولى والتي احتوت على اسم والد الداي محمد بكداش و التنبؤ لولده بالرئاسة[41] وختمها بالمقامة السادسة عشر والتي احتوت على وصف عودة خليفة الداي وصهره (أوزن) حسن إلى الجزائر بعد انتصاره على الاسبان.[42]

وصف المخطوط: لقد أحاط المحقق إحاطة كاملة في هذا الجانب، إذ ذكر عدد صفحاته البالغة 155، وطول صفحته 21سم وعرضها 15,5سم ، وعدد أسطرها 12 سطرا، والخط المكتوب به مغربي، وأن العناوين كتبت بالأحمر.

هذا عن النسخة التي يملكها المحقق، أما النسخة الثانية الموجودة بالمكتبة الوطنية بالجزائر العاصمة، فعدد صفحاتها تقدر بـ 187، طول صفحتها 19,5 سم وعرضها 15سم وعدد أسطرها 12 سطرا.

وينبه المحقق على أن النسخة الثانية كثيرة الأخطاء، إضافة إلى أن هناك بتر ابتداء من ص29 إلى ص42، ومن ص123 إلى ص138. وهي منقولة عن مسودة المؤلف.[43]

التعريف بالمؤلف: بعد أن ينتهي المحقق من وصف المخطوط يجب أن يعرف بالمؤلف من حيث ولادته ووفاته، وأسرته والشيوخ الذين تتلمذ عليهم وأهم مؤلفاته، والمناصب التي تولاها، وغيرها من جوانب شخصيته.

لقد أحاط المحقق إحاطة شاملة بدءا بنسبه[44]، إلا أنه يشكو من شح المصادر التي ترجمت له مما صعب عليه تحديد سنة الميلاد والوفاة، ثم بعدها ينتقل إلى التعريف به ثقافيا والعصر الذي عاش فيه منها الهجومات الفرنسية والانجليزية والاسبانية على بعض مدن الجزائر

وغيرها من الأحداث، ثم ينتقل بعدها إلى ذكر التنظيم الإداري الذي كان سائدا على عهد الأتراك، وقد وفق في ذلك أيما توفيق.[45]

أما فيما يتعلق بمؤلفاته، فللمحقق عذره في ذلك، بسبب عدم توفر معلومات إضافية عن صاحب الكتاب وذلك لسكوت المصادر عن التعرض لشخصيته.

نسبة الكتاب للمؤلف: لم يواجه المحقق صعوبة في نسبة الكتاب لمؤلفه وذلك اعتمادا على النص الوارد بالمخطوط في ص1 من نسخة "ب" جاء فيه "هذه مقامات الفقيه العلامة، الدراكة الفهامة الأديب البارع، سيدي محمد بن ميمون الجزائري رحمه الله".

إضافة إلى اعتماد محققنا هذا، على ما ورد عند الجامعي في شرحه لأرجوزة الحلفاوي الذي قال في تحليته: "وقد استوفر حق تحليته بالعلوم وتحصيل المنطوق والمفهوم الأديب أبو عبد الله سيدي محمد بن ميمون...فإنه ألف في هذا السيد[46] –نصره الله– كتابا سماه المقامات، وفي الحقيقة قلائد العقبان تضم سطوره آليات دروسه نقلت سمعا حمائم البستان".[47]

الملاحق والفهارس:

لا يخامرنا الشك أن الملاحق لها أهميتها بالنسبة للمخطوط، إذ تحتوي على خرائط توضيحية، ويجب أن تكون في أخر الدراسة، وتشمل خرائط لتعيين بعض المدن والمناطق التي جرت فيها الأحداث.[48]

لقد خلت ملاحق التحفة المرضية من مثل هذه الخرائط التوضيحية عدا خريطة في آخر الكتاب مع إرفاقها بصورتين لمدينة وهران وبابها الرئيس، إضافة إلى نسختين من المخطوط، وكان من المستحسن أن تكون صورتا المخطوط في بداية الدراسة.

كما أفادنا المحقق بملاحق تستحق الثناء منها: الملحق الأول تخص الأشعار التي قيلت في مدينة وهران وثاني يتحدث فيه عن تأسيسها وثالثها: ترجم فيه لعبد الرحمن الثعالبي ترجمة وافية وشافية.

أما فيما يتعلق بالفهارس العامة، فهي تكتسي أهمية كبرى في دراستنا لأي مخطوط، فعادة أن المخطوطات هي بدون فهارس، لدا يحرص كل محقق على إلحاق دراسته لها بفهارس تضم عادة فهارس الموضوعات التي تناولها المخطوط وفهارس للأعلام وللأماكن والقبائل، والأشعار، بالإضافة إلى ذكر تبث بالمصادر التي ساعدته على التحقيق.

لقد التزم المحقق بهذه المنهجية مما سهل على كل من يروم مطالعة هذا الكتاب المحقق الرجوع إلى هذه الإحالات مباشرة دون عناء يذكر، و أولى هذه الفهارس.

قائمة المصادر والمراجع والتي التزم بها المحقق، فكانت متعددة ومتنوعة ما بين عربية وفرنسية، إلا أن ترتيبها كان من الواجب أن تكون في آخر الكتاب وقبل فهرس الموضوعات، لكن المحقق جعلها في الوسط مباشرة بعد النص المحقق، ثم بعد تناوله للملاحق ينتقل مرة ثانية لعرض أهم المصادر والمراجع باللغة العربية.

أما عن فهرس الموضوعات، فقد التزم بها وذكرها في موضعها.

وفي الأخير اعتنى بفهرس الألقاب وأوردها على حسب الحروف الهجائية، ونفس المنهجية اتبعها مع فهرس الأنساب، ثم أتبع كل ذلك بفهرس القوافي الشعرية ثم اعتنائه بفهرس آي القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وفهارس الأمكنة والبلدان.

الخاتمة: لا يخامرنا الشك أن هذا العمل الذي قام به هذا الباحث والمحقق يعد من الأعمال الجليلة التي تستحق التقدير والتثمين، فبتحقيقه لهذا المخطوط يكون قد حافظ على جزء من تراثنا الثقافي، وأضاف كتابا جديدا يضاف إلى باقي الكتب المحققة التي تمتلئ به رفوف مكتباتنا.

يدخل هذا الانجاز العلمي في إطار إعادة إحياء التراث المخطوط، وبخاصة إذا كان يتعلق بفترة غطت جزءا من تاريخ الجزائر على العهد العثماني بما حملته هذه الفترة من معلومات عن شخصيته هذه، وهي شخصية الداي محمد بكداش، مما يؤكد على أن الجزائر رغم تبعيتها للدولة العثمانية إلا أنها حافظت على استقلالها في ميادين مختلفة، فرسمت لنفسها طريقا، ونهجت لنفسها سياسة تتماشى مع الأوضاع الراهنة آنذاك منها: تكالب الدول الاستعمارية على بلاد الجزائر المحمية.

وليسعنا في الأخير إلا أن نثمن هذا العمل لإفادة كل من يروم الغوص في خبايا هذا التراث والذي يمكن اعتباره تراثا تاريخيا وأدبيا، يستفيد منه كل من أراد الغوص فيه والذي لازال الكثير منه حبيس دور المكتبات والأرشيف ينتظر من يطلق سراحه ليرى النور من جديد.

الفهارس:

1-محمد زكريا عناني وسعيدة محمد رضوان: في مناهج البحث وتحقيق النصوص – دار النهضة العربية – بيروت – لبنان – ط1 – 1999م – ص211 – 225. فرح الله عبد الباري: مناهج البحث وآداب الحوار والمناظرة – دار الآفاق العربية – القاهرة – ط1 – 2004م – صص115-116.

2–فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي– مكتبة آية الله العظمى المرعشي – قم – إيران – ط2 – 1982م – ص136.

3–ابن ميمون الجزائري: التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية – تقديم وتحقيق: د/ محمد بن عبد الكريم – الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر – مقدمة المحقق – ص107.

4– بشارة عواد معروف: في تحقيق النص – أنظار تطبيقية نقدية في مناهج تحقيق المخطوطات العربية – دار الغرب الإسلامي – بيروت – لبنان – ط1 – 2004م – ص266.

5–محمد زكريا عناني: نفسه – ص189 – صص207–208. ومن أمثلة هذا النوع الأخير ما قام به ليفي بروفنسال في جمع لمادة الأندلس من الروض المعطار، ووسمه بـ: صفة جزيرة الأندلس.

6–حسان حلاق: مناهج الفكر والبحث التاريخي والعلوم المساعدة وتحقيق المخطوطات – دار النهضة العربية– بيروت – لبنان – 2004م – ص147. وينظر فرج الله عبد الباري: نفسه – ص120.

7– ينظر عنها ابن ميمون: نفسه – هامش1 – ص111.

8– ابن ميمون الجزائري: نفسه – مقدمة المحقق – ص101.

9– ينظر نفسه : ص139–239.

10–نفسه – ص172–231.

11–نفسه– نفس الصفحتين و ص247.

12–نفسه: صص196–201.

13–مثل تأثير العوامل الطبيعية كالرطوبة مثلا: على المخطوط، فيؤدي إلى طمس كلمات أو جمل منه، أو تأتي عليه بعض الحشرات، فيؤدي إلى تآكل أجزاء منه.

14–حسان حلاق: نفسه – ص149. فرج الله عبد الباري: نفسه – ص121.

15–المزاري: طلوع سعد السعود "في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا" "إلى أواخر القرن التاسع عشر". تحقيق ودراسة: د/ يحي بوعزيز – دار الغرب الإسلامي – بيروت – لبنان – ط1 – 1990م – ج1 – صص15–16.

16–فرج الله عبد الباري: نفسه – ص121.

17–حسان حلاق: نفسه – ص154. فرج الله عبد الباري: نفسه – ص121. بشار عواد معروف: نفسه – ص342. أسد رستم: مصطلح التاريخ– منشورات المكتبة العصرية – بيروت – لبنان – دت – صص14–15.

18–أسامة عبد الرحمن النور: محاضرات في منهج البحث التاريخي – فاليتا – مالطا – ELGA – 2001م – ص95. وينظر وليد نويهض: المفكرون العرب ومنهج كتابة التاريخ – دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان – ط1 – 1996م – ص65.

19–عبد الرحمن علي الحجي: نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي – دار ابن كثير – دمشق – بيروت – ط1 – 1420هـ/1999م – ص68.

20–ينظر فتيحة النبراوي: علم التاريخ – دراسة في مناهج البحث – دار الآفاق العربية– القاهرة – ط2 – 1996م – ص250.

21–ابن ميمون الجزائري: نفسه – مقدمة المحقق – صص101–102.

22–وتكتب كذلك بهذا الرسم "بكتاش"، ومنها "بكتاشي" وهو المنسوب إلى الطريقة البكتاشية، ويعني كذلك القرين والمكافئ. حسان حلاق وعباس صباغ – المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية و الفارسية والتركية – دار العلم للملايين – بيروت– لبنان – ط1 – 1999م – ص42. وينظر في ترجمته الجامعي: فتح مدينة وهران – تحقيق: د/ مختار حساني: مخبر المخطوطات – جامعة الجزائر – 2003 – ص50.

23–ينظر محمد بن عبد القادر الجزائري: تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر – شرح وتعليق: د/ ممدوح حقي – منشورات تالة – الأبيار – الجزائر– 2007م – ج1 – صص137–138.

24–ينظر عنه عبد الرحمن بن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام – ديوان المطبوعات الجامعية – بن عكنون – الجزائر – ط7 – 1415هـ/1994م – ج3 – صص206–207. وأبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي – دار البصائر – الجزائر – ط6 – 2009م – ج1 – ص418–470.

25–ابن مريم التلمساني: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان – ديوان المطبوعات الجامعية– الجزائر – 1986م – ص228 وما يليها. وينظر عنه كذلك ابن صعد التلمساني – روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين – تحقيق: د/ يحي بوعزيز – دار البصائر للنشر والتوزيع – 2008م – ص35 وما يليها.

26–البغدادي: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع – تحقيق: علي محمد البجاوي – دار الجيل – بيروت – لبنان – ط1 – 1412هـ/1992م – ج2 – ص882.

27–المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب – تحقيق: يوسف الشيخ البقاعي – دار الفكر – بيروت – لبنان – ط1 – 1419هـ/1998م – ج1 – ص131–132–149. ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة – شرحه وضبطه وقدم له: أ–د/ يوسف علي طويل – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط1 – 1424هـ/2003م – مج1 – ص16.

28–ينظر المصدرين السابقين – نفس الأجزاء والصفحات وكذلك. مجهول: تاريخ الأندلس – تحقيق: أ–د/ عبد القادر بوباية – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط1 – 1428هـ/2007م – ص47 وهامش رقم6 من نفس الصفحة.

29–ينظر ابن الخطيب: اللمحة البدرية في الدولة النصرية – تحقيق: د/محمد زينهم – الدار الثقافية للنشر – ط1 1425هـ/2004م – ص18.

30–ابن ميمون الجزائري: نفسه – مقدمة المحقق – ص101.

31–حسان حلاق: نفسه – ص150. فرج الله عبد الباري: نفسه – ص92.

32–من أمثال هذه المعاجم – حسان حلاق: المعجم الجامع في المصطلحات – ص42–61–121.

33–ينظر في ترجمتها: عبد العزيز عتيق: الأدب العربي في الأندلس – دار النهضة العربية – بيروت – لبنان – دت – ص476.

34–ينظر الزمخشري: أساس البلاغة – تحقيق: أ– عبد الرحيم محمود – دار المعرفة – بيروت – لبنان – دت – صص437–438.

35–المهارق، جمع المهرق وهي من لوازم الكتابة في العهد المملوكي وهو القرطاس (الورق) الذي يكتب فيه. حسان حلاق: المعجم الجامع – ص214.

36–ابن حزم: جمهرة أنساب العرب – راجع النسخة وضبط أعلامها: عبد المنعم خليل ابراهيم – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط4 – 1428هـ/2007م – ص271 وينظر المشرفي عبد القادر: بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الامسباتيين بوهران من الأعراب كبني عامر – تحقيق وتقديم: محمد بن عبد الكريم – منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت – لبنان – دت – ص20 وما يليها – ويذكر المشرفي أن نسبهم يعود الى عامر بن ابراهيم بن يعقوب بن معروف الى أن ينتهي الى عامر بن زغبة.

37–سورة ابراهيم، الآية24.

38–ابن ميمون الجزائري: نفسه – هامش2 – ص117.

39–ينظر عن الفتح الأول لمدينة وهران، المزاري: نفسه – ج1 – ص235.

40–ابن ميمون الجزائري: نفسه – صص83–85.

41–ينظر ابن ميمون: نفسه – صص114–118.

42–ابن ميمون: نفسه – صص262–264.

43–نفسه – صص107–108.

44–ينظر الجامعي: نفسه – ص50.

45–ينظر ابن ميمون: نفسه – صص12–80.

46–يقصد به الداي بكداش.

47–الجامعي: نفسه – ص50.

48–حسان حلاق: نفسه – ص154.